الملحق الثقافي

ملحق أسبوعي
يصدر كل ثلاثاء
عن جريدة الثورة
العدد 1140
2023/4/12

عدد خاص

نحو تجديد الخطاب القومي العربي

أول الكلام

من يجدد فكرنا القومي ...؟

▪ ديب علي حسن

في نهايات القرن الماضي كانت فورة أو موجة العولمة قد أخذت مداها ووصلت إلى مرحلة ظن الكثيرون أنها قدر لا مفر منه لاسيما مع تفكك وانهيار الاتحاد السوفييتي وبدت ملامح الممانعة عند بعض الشعوب ضعيفة ،ولم يكن يدور في خلد البعض أن هذا ليس انكفاء إنما هي مراجعات ومحطات لابدّ منها .

صحيح أن البعض قد استغل مثل هذه المحطّات وقفز إلى داخل الفعل وبدأ بالتخريب فظهرت النزعات الاثنية والعرقية وحتى العائلية وما أجمل لو بقيت النزعات الوطنية لقد عملت آلة الفتك على تفكيك المفكك إلى ذرات وبدا أن الفكر الوطني والقومي تهمة يجب غسل اليدين منها ..

لكن آليات الدفاع وإصالة الشعوب والأمم أعادت الوهج إلى الفكر الوطني والقومي غير المتعصب ..

ونحن في الوطن العربي مازلنا نناقش بعض القضايا التي لم تعد موجودة غادرنا فكرنا القومي الإنساني غير المتعصب ووصلنا إلى جدار الصد واقتنعنا أن الفكر القومي المتجدد من غير نزعات عنصرية الفكر العروبي بمعناه الإنساني والحضاري هو الخلاص ..

الفكر الذي ينطلق من خلاصات وقراءات واقعية لما نحن ويجدد رؤاه وأدواته ويرسم استراتيجيات طويلة الأمد ليست طوباوية ..وهذه مسؤولية مفكري الأمة وكتابها ومبدعيها ولكن السؤال : سيجدو ن السبيل إلى ذلك ..وكيف يفعلون ومتى ..؟

هل تعود مراكز الدراسات والبحث إلى دورها ولو النظري؟.

هل تعمل المؤسسات الفكرية الوطنية في كلّ دولة عربية وفق خطط تتكامل وتتلاقى مع شقيقاتها؟!

هل يحدث ذلك في ظلّ مشهد سياسي وإعلامي يفرق ولا يوحد وفي ظلّ مؤسسة عربية يفترض أنها جامعة عربية لكنّها أصبحت مطية للمال واتخاذ القرارات التي تزيد الشرخ العربي؟

نحتاج بوتقة حقيقية للفكر القومي الأصيل المتجدد والقادر على تمثل إرادة الشعب العربي بالسيادة والحرية والكرامة وإعادة دور الزاهي للأمة.

التجديد
مهمة المفكرين

اللغة وعبقرية الأمة

الفكر القومي
خيار استراتيجي

وعي الأمة لذاتها

رئيس التحرير
أحمد حمادة
مدير التحرير
معد عيسى
إشراف
ديب علي حسن
الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
D.hasan09@gmail.com
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

معرض

بين الفن التشكيلي وهندسة الديكور

تعبر الفنانة التشكيلية ومهندسة الديكور ديكارا الظاهر في أعمالها عن تأثرها بالواقع وما يدور بخيالها، من خلال معرفتها واطلاعها، وذلك بشكل فني صادق وإحساس عفوي.

وعن تجربتها تقول: إن الرسم هو فن مرئي وهو تعبير عن الأشياء بوساطة الخط أو بقع فنية أو أداة، وهو شكل من أشكال الفنون التشكيلية وهو من الفنون السبعة الإبداعية، مشيرة إلى أنه ينقسم لعدة أقسام، منها منظوري نجده في ثلاثي الأبعاد، وميكانيكي، ورسم متحرك كنوع من المناظر السينمائية.

وهي تجد في الفن التشكيلي فناً بصرياً يضع الفنان فيه تجربته البصرية المحفزة من خلاله، كما يعكس تأثير الشعور لديه، مضيفة: «أحب الحياة بأشكالها وألوانها وأعيشها بكل حالاتها، لتحقيق الأهداف والطموح، وهذه الأشياء تتحول إلى إبداع، عندما تكون في مؤثراتها الإنسانية، وأقوم بإعادة تكوينها بشكل فني وفق الفكرة والموضوع».

وأشارت الظاهر إلى أهمية الطبيعة في التكوين الفني بأشكالها ومكوناتها وعناصرها فهي تتشكل فنياً حسب المدرسة التي تأثر بها الفنان، مبينة أن مواضيع المرأة مهمة بكل حالاتها فهي الأم والأخت والابنة والعطاء والقوة والحنان، ورمز الحب الحقيقي، أي هي جزء لا يتجزأ من الإنسان.

أما عن هندسة الديكور فقالت الظاهر: «أحببت أن أدخل هذا المجال ليكمل شيئاً بداخلي، أي اكتمال دراستي للديكور مع الفن التشكيلي، بحيث يكون هناك توافق للشكل مع الألوان، ما يجعل التصاميم أكثر إبداعاً وتميزاً من حيث الجمالية والترتيب والتذوق واللون»، لافتة إلى أنها تأثرت بالمدرسة الانطباعية ففضلت اللون الأزرق لأنه يقترب من الفرات والأصفر لأثره النفسي الانطباعي.

يذكر أن ديكارا الظاهر فنانة تشكيلية ومهندسة ديكور خريجة كلية فنون جميلة، شاركت بالعديد من المعارض على المستويين الداخلي والخارجي.

إبداع مروان الخاطر في جلسة استذكارية

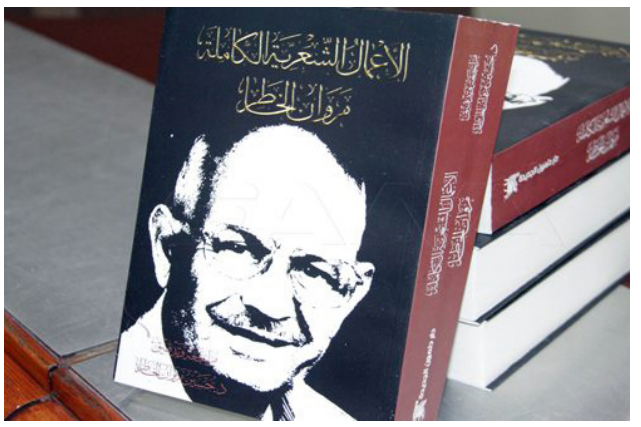

أقام اتحاد الكتاب العرب لقاء ثقافياً لإهداء المجموعة الشعرية الكاملة للأديب الراحل مروان الخاطر، وقد تضمن كلمات وقراءات ونصوصاً شعرية في حياته وتاريخه الثقافي العريق، ومختلف أنواع كتاباته في الأدب والدراما.

وبينت مديرة دار دلمون للطباعة والنشر عفراء هدبا إن انتقاء طباعة المجموعة الشعرية للراحل مروان الخاطر شكل مفصلاً ثقافياً مهماً انطلق من دير الزور إلى الوطن العربي بمستوى عريق وإحساس صادق.

وخلال اللقاء الذي أداره توفيق أحمد عضو المكتب التنفيذي باتحاد الكتاب العرب قدم الباحث الدكتور شاهر المرير قراءة في مستوى الشعر العريق الذي كتبه الخاطر، وفي مختلف الأشكال التي استخدمها وأهمها الشعر الموزون الذي عكس وجدانه وبراءة تعامله مع الواقع.

والباحث الدكتور عبدالله الشاهر في دراسته تكلم عن جماليات شعرالراحل وتأثره بالفرات ومنبته الجميل وتطوره مع تطور معرفته وثقافته وعلاقته بكل الجماليات.

وفي الوقت عينه أشار الفنان والمخرج الإذاعي مازن لطفي إلى أهمية كتابات المبدع الراحل في السيناريو والدراما والإذاعة ومستواها الأدبي والمعرفي الرفيع، وكيفية تعامل الخاطر بمحبة وتواضع كبيرين ومحبة الجميع في الوسط الفني له.

على حين تحدث ولده الدكتور الناقد حسين الخاطر عن دور أبيه في النهج الثقافي والإعلامي والأدبي الذي سلكاه، وعن شعره العاطفي الصادق، ولاسيما أنه تعمق في المجموعة الكاملة ومراجعتها قبل نشرها، مبيناً التزامه بحب الوطن والإنسان.

الفنان فراس إبراهيم الذي تتلمذ على يد الراحل مروان الخاطر في طفولته بحكم عمل والده آنذاك بريف دير الزور، أبدى تأثره العميق بمنظومته الأخلاقية ومحبة طلابه له، مبيناً أنه ترك في حياته محبة كبيرة وذكريات لا تنسى.

وصديق الراحل الشاعر أمير سماوي لفت إلى تعامله الوفي وسلوكه النجيب وارتباطه المخلص بأدبه ورفاقه وسلوكه الإداري.

رئيس اتحاد الكتاب العرب الدكتور محمد الحوراني أوضح مدى التزام الراحل وعلاقته باتحاد الكتاب العرب وأعضائه نظراً لإخلاصه ووفائه وقدرته على كتابة الشعر الذي يحتوي المكونات التي تشير إلى موهبة حقيقية، تدعمها ثقافة ومعرفة وعلاقات صادقة.

ولفت إلى أن الراحل جال البيئة الفراتية بشكل خاص والسورية بشكل عام وترك رحيله فراغاً وأثراً كبيرين.

وفي ختام اللقاء أهدت أسرة الأديب الراحل مجموعته الشعرية الكاملة للحضور الذي شمل أدباء ونقاداً وفنانين ومثقفين.

كتاب العدد
حسب الترتيب الهجائي

خلود شحادة
رجاء شعبان
عبد الحميد غانم
علي حبيب
فاتن دعبول
فوزي الشنيور
سلام الفاضل
محمد خالد الخضر
نبيل نوفل
وفاء يونس

وعي الأمة العربية لذاتها

نبيل فوزات نوفل

لا نريد الحديث عن أهمية الفكر القومي ومراحل نشأته، والعوامل الداخلية والخارجية التي أدت إلى فشل تحقيق الكثير من أهدافه، وسنشير بعجالة إلى بعض الأمور التي يعاني منها الفكر القومي العربي، ونقترح بعض الرؤى التي نراها تحقق الرفعة والقوة لهذا الفكر. فلا شك أن الفكر القومي العربي تعرض إلى عدة تحديات، ووقع في بعض الإشكاليات منها سوء الفهم لمفهوم القومية العربية ما أدى لنشر الكثير من الأفكار المضللة منها:

اتهام العروبة بالتخلف، واعتبارها شيئاً نظرياً طرح في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين مع النظريات القومية الفرنسية والألمانية وغيرها، وأي طرح قومي هو طرح متخلف، فركز أعداء القومية العربية وأبواقهم المأجورة على فكرة أن المناداة بالإيديولوجيات القومية ضرباً من الاستمساك بإرث تقضى زمانه، بل ضربٌ من الحنين العاطفي إلى ماض تجاوزته الأحداث، والترويج إلى أن القومية العربية بدأت تلفظ أنفاسها، ويجب البحث عن إيديولوجيات جديدة، ورفض فكرة وحدة الأمة العربية، ونشر بدعة أن الفكر القومي مستوردٌ وغريبٌ، وطارئ ولا ينتج معرفة، وبالتالي فقد بات من الضروري والعاجل أمام الفكر القومي العربي التصدي لكل الدعوات المشبوهة التي تعادي القومية العربية والفكر القومي، والتركيز على وحدة الأمة والتكامل والتعاون بين أجنحة الفكر القومي العربي والتركيز على العلمانية الإيمانية التي لا تنكر الدين بل تلغي سلطة رجال الدين في الحكم وإدارة الدولة.

وتعزيز الفكر النقدي والعلمي والديمقراطية في الحياة السياسية العربية، وعدم إنكار دور القوى السياسية في الحياة السياسية العربية، والتزام العمل على تحقيق الوحدة العربية، وتحقيق التضامن العربي، مع احترام خصوصية كل قطر عربي، والتركيز على التكامل الاقتصادي وتحقيق المواقف السياسية الجامعة للعرب وخاصة قضية فلسطين، والتزام نهج اقتصادي يخدم الشريحة الكبرى من الجماهير العربية وبناء نهضة علمية متطورة من خلال مشاريع عربية مشتركة تؤدي إلى امتلاك العرب قوة علمية وتكنولوجية تجعلهم في مصاف الدول المتقدمة، وفضح حالات التزييف والتهم المضللة للقومية العربية والعروبة، وتنقية تراثنا من الشوائب التي علقت به، والإيمان بأن العروبة حضارية بعيدة عن روابط العرق والدم، وهي متطورة باستمرار بما يواكب روح العصر ومصالح الأمة. فالفكر الوطني القومي الذي نريد هو الفكر الحيوي المتجدد الذي يفهم الواقع، ويسقط الأوهام، وهو يستعيد هوية العروبة وثقافتها، ويستوعب حاجات الأمة العربية في حاضرها ومستقبله ويعي الاختلاف فيما بين أقطارها وتياراتها القومية، وبالتالي بات التركيز على وعي الفكر القومي ضرورة وجودية للأمة العربية انطلاقاً من أن وعي الشيء يعني إجرائياً إدراك ماهيته، كما يعني بيان ما له وما عليه، وذلك لمعرفة قدرته على الاستمرار في الحياة، وعلى مواجهة التحديات المفروضة على طبيعة الأشياء في مختلف الميادين، يضاف إلى ذلك أن وعي الشيء يعني فيما يعنيه الوقوف على حقيقة مشاكله، لوضع الحلول الناجعة لمعالجتها كما يعني إدراك أهميته في حياتنا، وشخصياتنا فردياً واجتماعياً وحضارياً وسياسياً، ما يفضي إلى استشعارنا لحقيقة انتمائنا للشيء الذي نعيه، مدركين ما يترتب على هذا الانتماء من الإحساس العالي بالمسؤولية تجاهه، وما يترتب على هذا الانتماء من المبادرة إلى فعل كل ما من شأنه صيانة معانيه، وكل ما من شأنه العمل على الإفصاح في المجال له ليقوم بدوره في مختلف جوانب حياتنا، وتوفير السبل الميسرة لتأدية دوره، ويتحقق ذلك من خلال: امتلاك الوعي القومي الذي يعتمد على فهم الماضي ومعرفة أبعاده الثقافية والتاريخية والعوامل الطبيعية وقواها الروحية، وقيام حوارات فكرية ثقافية خلاقة لا تنفي الاختلاف، ولا تلغي الرأي الآخر، والعمل على المثاقفة الوطنية والقومية وفق منهج تنموي متطور، يتخلص من التقليد والمحاكاة والتبعية، وتعرية أي تفكير انفصالي، تحت أي مسمى كان عرقياً أم إقليمياً، أو طائفياً، واستدعاء مفهوم الأمة ليصبح عقيدتنا الجديدة، والمنارة التي نهتدي بها في تعاطينا مع قضايانا الوطنية والقومية، لذلك بات الأخذ بالحوار منهجاً للتقارب بين التيارات الفكرية والسياسية والمذاهب الإسلامية ضرورة ملحة، أي تعزيز الثقافة التي تكرس الحوار بين أبناء المجتمع، والتأكيد على أسلوب الحوار، والمناظرة في نقد الأفكار، والدعوة إلى التوحيد بأسلوب حر مفتوح،والإيمان أن العروبة ذات امتداد تاريخي وثقافي واسع وكبير قديماً وحديثاً، وهي رسالة حضارية للإنسانية، ترتكز على أمرين أساسيين: الأول:ارتباط الإسلام الوثيق والمتين بالعروبة، وارتباط العروبة الذي لا ينفصل بالإسلام. والثاني: هي المسيحية التي انطلقت من بيننا وانتشرت عبر العالم بلهجة عربية هي الآرامية، وبالتالي فالعروبة هي وعي الأمة العربية لذاتها، وهذا الوعي يرتبط بالإسلام عبر حقيقتين أساسيتين: أولهما: وعي الأمة العربية لذاتها، ووعي للإنسانية أيضاً، لذلك لم يكن وعي العرب لذاتهم ولدورهم في التاريخ وعياً عرقياً شوفينياً استعلائياً، وإنما كان ينطلق من فكرة التماثل بين العروبة والإنسانية.وثانيهما:هذا الربط بين العروبة والإنسانية لم يكن رابطاً تأملياً مجرداً، وإنما كان رابطاً محدداً جاء في إطار نتاج حضاري وثقافي إنساني، وإعادة دراسة تراثنا، من موقف الاعتزاز بهذه الأمة لا لاستهزاء بها، من موقع الثقة بالنفس لا من موقع اليأس، مستندين إلى منهج الفكر النقدي الذي يسلك طريقة المواجهة والصراع مع الذات والآخر، وخوض معركة الذات مع الذات، والتعامل مع التراث، باعتباره حاضن الهوية القومية، والتعريف بروائعه مع تخليصه من شوائبه، وتطبيق المنهجية التاريخية في دراسته، أي تحقيق ذاتيتنا المستقلة من خلال وقوفنا من ماضينا وقفة نقدية جذرية، والإيمان بأن وجود الآخر هو الذي يشكل وجودنا،ومعرفة الذات، تتطلب معرفة الآخر.

العمل على كشف وتعرية الفكر الظلامي التكفيري ويتم ذلك على مستويين لأول: هو المستوى التربوي الاجتماعي، والمستوى الثاني: هو المستوى العقائدي، إذ لا بد من إبعاد العقيدة الدينية عن السياسة، وإبعاد الدين عن الصراعات الاجتماعية حول الخيرات والسلطة، لذلك فإن الفهم الحقيقي للعلاقة مع الإيمان قضية جوهرية، فعملية التحليل التاريخي التي نريد تطبيقها على التراث لا تهدف إطلاقاً إلى القضاء على العاطفة الدينية،عاطفة الإيمان والروح، بل على العكس، فذلك هو المنهج الوحيد الذي يخرج الإيمان منه أو بعده في النهاية منتصر، فالإيمان لن يصاب بأذى بعد تطبيق المنهج التاريخي على التراث بصفته تخيلاً نفسياً له، وتغلغلاً في أعماقه القصية.

فنحن ندعو للقطيعة مع الفهم القاصر للإسلام والتفاسير المبتورة من التراث، فالقطيعة لا تعني الانقطاع عن الإيمان أو اعتباره مسألة ثانوية لا أهمية له. فالإيمان حق وعدل وليس إرهاباً وتخويناً، والعمل على تعزيز ثقافة التنوير في المجتمع،الذي يعني جرأة الإنسان في استخدام العقل بشكل مستقل، وهو لا يستعار من أحد، بل ينبع من داخل الأمة ولا يستورد استيراداً كأي آلة من آلات التكنولوجيا ويتصف بحرية التفكير والأخذ بالعلمانية الروحية الجديدة، لأن العلمنة ليست فقط غربية، وإنما هي عربية إسلامية أيضاً، لأننا عرفنا شيئاً منها في عصرنا الإبداعي والكلاسيكي المجيد(المعتزلة مثلاً).وهي تعني في نهاية المطاف كسباً تاريخياً للبشر الذين يجاهدون ويناضلون من أجل تحررهم. والعمل من أجل بلوغ الحقيقة، وأن نجعل هذا العقل حليفاً مخلصاً لنا في كل لحظة من لحظات حياتنا، وتكريس الفكر النقدي،الذي يعتبر شرطاً من شروط الارتقاء الإنساني،إلى جانب الفكر التحليلي الذي يمتلك القدرة على تفكيك المشكلة إلى مكوناتها الأساسية، بحيث يقودنا هذا التحليل إلى معرفة بواطن الخلل والقوة، ومن ثم اتخاذ القرار المناسب، والتحلي بالواقعية المبدئية التي تتجلى بامتلاك التفكير،المرونة والصلابة، التي تسمح له بحرية الحركة وإطلاقها ضمن قطبي الثابت والمتحرك،والواقع والممكن، والأساليب والأهداف، فالفكر القومي العربي التنويري الذي ننشده يكره الأفكار الجامدة، أو المجردة، فالفكرة المقبولة لديه، هي التي تنطلق من فهم الواقع، والاستفادة من معطياته وتناقضاته، وأن تجد لنفسها مجالها التطبيقي بعيداً عن التجريد النظري.فهو ليس القبول بالأمر الواقع، بل قراءة الواقع لا قراءة الأحلام والخيالات، قراءة دقيقة واعية متأنية، هي قراءة نضالية لتغيير الواقع،لا القفز فوقه والسقوط في الفراغ، وكسر الحصار الفكري المروج للهيمنة والخضوع لإرادة القطب الواحد، وتعرية العباءات الثقافية التي تحاول إلباس المصالح السياسية عباءات ثقافية، ورسم خريطة الصراع على أنها صراع ثقافي أو حضاري أو ديني، وليست صراعاً سياسياً.والأخذ بتكنولوجيا المعلومات باعتبارها أمضى الأسلحة في مواجهة ظواهر التعقد بسبب قدرتها على احتواء الكم الهائل من البيانات فهي أداة للتكامل المعرفي وللتوازن المجتمعي وأداة لصناعة الثقافة.

إن الفكر القومي العربي الذي نطمح إليه يجب أن يستند إلى ميثاق وطني مشترك متفق عليه وملزم ويؤسس لمنظومة تربوية خلقية جمالية تولي جميع عناصرها الاجتماعية والثقافية العناية الفائقة على قدم المساواة، فهي توحد ولا تفرق، تبني ولا تهدم،موضوعية بعيدة عن النزوات والعصبية والعواطف؛منظومة معرفية تؤمن بالمواطنة العربية إيماناً لا يشوبه شك أو تشويه،إنها ثقافة تطرد الجهل من عقول أبنائها، والخرافة من عقيدتهم، وتقيم الدولة الوطنية القومية وفق مشروع اجتماعي حقيقي متطور أساسه العلم والإصلاح وصلبه اقتصاد معرفي تقني وسبيله ديمقراطية عادلة، وإقامة جبهة ثقافية /فكرية مقاومة يقودها مفكرون قوميون مناضلون ومبدعون؛ بعيداً عن المؤسسات الفكرية المعلبة أو المسلوبة الإرادة لتبني برامج منقذة للفكر العربي القومي المقاوم تتصف بالثبات والتطور وتتفتح على الابتكار والاختراع والتجدد بمثل انفتاحها على الحضارات والثقافات بعقلانية وموضوعية ووفق ثقافة تعزز مفهوم الوحدة في إطار التنوع الغني لتحافظ على الشخصية العربية القومية، فكر مقاوم لكل مشاريع الهيمنة والصهينة والتحديات القاهرة التي تعمل على تفتيت وتقسيم الأمة في المجالات المختلفة.

الفكر القومي العربي
خيار استراتيجي للحفاظ على وجود الأمة العربية

فاتن دعبول

من البدهي أن نؤمن بأن فكرة القومية العربية لا تزال حية في نفوس الشعب العربي، ويتضح ذلك في غير موقف تتجلى فيه هذه الوحدة سواء لجهة الوقوف إلى جانب فلسطين في مواجهتها الدائمة مع العدو الصهيوني أو في تلبية الدول العربية لنداء الإنسانية عند تعرض سورية للزلزال المدمر، فقد شاهدنا كيف سارعت إلى تقديم المساعدات المالية والعينية لإنقاذ المتضررين، والوقوف إلى جانبهم والتخفيف من مصابهم.

وليس بعيداً ما شاهدناه في الأولمبياد الذي استضافته الدوحة وكيف رفع العلم الفلسطيني في الملاعب والساحات، ما يؤكد أن قضية فلسطين كانت وما زالت هي القضية الأساس لأبناء الأمة العربية.

هذا إلى جانب التشجيع الذي حظي به الفريق الرياضي للمغرب، من قبل الشعب العربي في الدول العربية كافة، ما يؤكد أيضاً أن جميع محاولات تكريس النزعة الإقليمية والتجزئة باءت بالفشل، وقد تغلبت عليها مقومات الأمة العربية التي تجمعها من وحدة اللغة والدين والثقافة والتاريخ المشترك والمصير الواحد، لأنها من أقوى العوامل التي تسهم في قوة العرب ووحدتهم.

وهذا بدوره يجعل الطريق معبدة إلى حد ما باتجاه تعزيز الفكر القومي العربي، ولكن برؤية جديدة تعتمد على التجديد بما يوائم متطلبات العصر والتغيرات التي تطرأ عليه.

فكيف يتم تكريس الفكر القومي وما هي أهم الضرورات لتجديده، سؤال توجهنا به إلى الدكتور إبراهيم زعرور الباحث في التاريخ ورئيس فرع دمشق لاتحاد الكتاب العرب.

يقول د. إبراهيم زعرور:

كنت ولا زلت أؤمن وسأبقى أيضاً، أن الفكر القومي العربي هو الخيار الاستراتيجي الوحيد الذي يستطيع النهوض بالأمة العربية من المحيط إلى الخليج، ويجعل منها الرقم الأهم في التوازنات الإقليمية والدولية.

ولا يستطيع الباحث أو المهتم تسليط الضوء على هذه القضية الاستراتيجية المرتبطة بوجود الأمة من خلال بضعة سطور وكلمات وجمل ليظهر مدى الحاجة والضرورة للفكر القومي العربي وتجديده، لكن لابد من التأكيد على بعض القضايا المرتبطة بإحياء الفكر القومي وتجديده، عندما نعرف أن حاضر الأمة ومستقبلها ومستقبل الأجيال وحياتهم ومصيرهم مرتبط بالوجود الحقيقي للفكر القومي العربي.

ولعل هذا يستلزم ويستوجب اتخاذ التدابير والترتيبات الجماهيرية الشعبية وعبر القنوات التي تتصل بالجماهير من منظمات ونقابات وهيئات وأحزاب ومؤسسات أهلية وشعبية ورسمية وأفكار روحية وفكرية وسياسية والذهاب إلى العمل الدؤوب والشجاع بتحليل الواقع العربي وإظهار نقاط الضعف والقوة فيه، لتعميق نقاط القوة وتضييق مساحات نقاط الضعف.

ومن هنا يمكننا القول: إنه لابد من توظيف كل الاتجاهات الروحية والفكرية والثقافية والحزبية والسياسية والتربوية والتعليمية وغيرها الكثير، لمحاربة كل ما يمنع حضور الفكر القومي العربي وبقوة في كل المؤسسات آنفة الذكر، وفي وسائل الاتصال الجماهيري والإعلام بكل أنواعه وخاصة الإعلام الإليكتروني ومواقع التواصل، لتوعية الأجيال بضرورة الفكر القومي العربي، لأن تطبيق الفكر القومي العربي، يعني الأمن القومي العربي بمواجهة الأعداء الذين يشكلون خطراً حقيقياً على وجود الأمة العربية ومستقبلها، ثم الأمن الاقتصادي العربي والأمن الغذائي العربي والأمن المائي العربي والثقافة العربية والفكر القومي العربي الإنساني.

وقد يسأل أحد كيف يمكن تحقيق ذلك في واقع عربي ممزق ومفتت ومنقسم سياسياً وقطرياً وتابعاً لقوى إقليمية ودولية، وهو سؤال مشروع، ومن السهل الإجابة عليه:

إن الأمة العربية إذا ما توحدت على الفكر القومي العربي، فإنها تشكل الرقم المهم ليس على مستوى الإقليم، وإنما على المستوى الدولي العالمي من حيث القوة البشرية والاقتصادية والموقع الاستراتيجي والممرات التجارية، وتسهم بشكل حقيقي في تثبيت الأمن العالمي، ولعل في مقدمة ما نحتاجه هنا هو الاعتماد بشكل أساسي على اللغة العربية الفصحى في حياتنا ومدارسنا وجامعاتنا وإعلامنا ومؤسساتنا الثقافية بمواجهة السلوك القطري واللهجات المحكية لكل الأقطار العربية.

كثير من المصطلحات يتم تداولها وهي في مضمونها تحارب الحالة القومية من مثل ترديد عبارة» الشعوب العربية» ونحن شعب عربي واحد، فنحن كنا وما زلنا وسنبقى، واللغة العربية هي العمود والحامل لهذه الأمة، والبعض يقول عن العرب» الأمة» لمجلس منتخب أو غير منتخب من الناس، أو يقول» الفن» وهذا ينطبق على كل أنواع الفنون، مثلاً الأغنية الخليجية أو السورية أو المصرية وغير ذلك، وهي الأغنية العربية والفن العربي والحضارة العربية والثقافة العربية والتاريخ العربي، وهناك أمثلة كثيرة للتدليل على ذلك.

ثم إن تبعية أغلب الأقطار العربية سياسياً واقتصادياً للغرب المستعمر ولأميركا التي تهيمن على العالم منذ نهاية الحرب العالمية وتسيطر على قرارات الشعوب والدول وتنهب الثروات وتخترق سيادة الدول وتحتلها وتخلق الفوضى والإرهاب مع الغرب الذي يسير تحت الغطاء الأميركي، بمعنى آخر أرادت أميركا أمركة العالم في كل قضايا الحياة بما فيها أسلوب» الطعام» وعممت النظام الاستهلاكي والوجبات السريعة والموسيقا والسينما والإعلام الشيطاني وغير ذلك الكثير.

ونحن اليوم حقيقة أحوج ما نكون للفكر القومي العربي، لأن وجودنا مهدد بالكامل وأنا من المؤمنين بالفكر القومي العربي، وأنا ابن هذا الفكر، حيث نشأت وتكونت وترعرعت وتعلمت في مدرسة وأفكار البعث العربي الاشتراكي منذ ستينيات القرن الماضي، ولا أستطيع أنا أو غيري تجاهل أو إلغاء الأفكار الأخرى، إنما نحتاج إلى الحوار الموضوعي الشامل.

وأنا على يقين أن قيام الوحدة العربية على أساس الفكر القومي، يسقط التخلف والجهل والأمية والتبعية، ويقضي على آثار الاستعمار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي وسواه، وينقل الأمة من هذا الواقع المريض جداً بكل مستوياته إلى أخذ مكانها الطبيعي في العلاقات الدولية، لأن قيام الدولة العربية الواحدة، يجعل منها رقماً مهماً جداً في العلاقات على مستوى الإقليم أو المستوى الدولي سياسياً واقتصادياً وثقافياً وعلمياً وحتى عسكرياً وأمنياً، وتصبح دول العالم بحاجة حياتية للتعامل بندية مع الأمة العربية من موقع الاحترام المتبادل والمنافع والمصالح أيضاً.

ولعل المشروع الأخطر الذي يواجه المشروع القومي العربي، هو المشروع الصهيوني واستطالاته واحتلاله لفلسطين والجولان العربي السوري وبعض الأراضي اللبنانية، وأيضاً اليوم الاحتلال الأميركي والتركي والإرهاب، يشكلون الخطر الداهم للمشروع القومي العربي، ولا سبيل على الإطلاق إلا برد الاعتبار وتحديد الفكر القومي العربي للنهوض بالأمة لتشغل المكان المناسب لها.

ولعل بالعودة للتاريخ نجد الدور الحضاري للأمة العربية، علماً ومعرفة وثقافة وفكراً وحضوراً مميزاً على المستوى الإنساني، وعلينا جميعاً أن نعمل بروح جماعية توعوية، وعلى كافة المستويات أفراداً وجماعات ومؤسسات لإعادة الاعتبار للفكر القومي العربي، وهو خيارنا الاستراتيجي للحفاظ على وجود الأمة العربية وتحقيق رسالتها الإنسانية.

التجديد مهمة المفكرين العرب

خلود حكمت شحادة

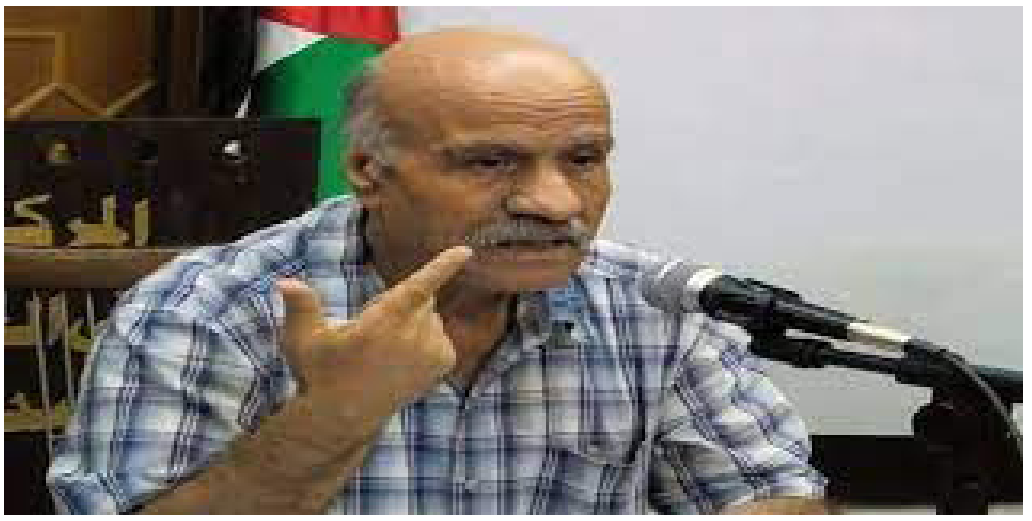

الفكر القومي وأهمية تجديده كان محور لقاءنا مع الباحث والأديب رياض طبرة

الذي بدأ حديثه بأن تجديد الفكر القومي هو المهمة الأنبل والأسمى في هذه المرحلة التي نمر بها ذلك وأن الفكر القومي تعرض ولا يزال يتعرض إلى محاولات تشويه وتجريح ونوع كبير من العزوف عن قراءته القراءة الصحيحة لذلك فإن هذه المهمة تستند نبالتها وعظمتها وضرورتها كحاجة من أن الفكر القومي بالأساس فكر توحيدي للمجتمع والدولة.

وأضاف طبرة: عندما طُرح الفكر القومي طُرحت معه أفكار كثيرة منها الفكرة الأممية والفكرة العالمية الدينية والأفكار الإقليمية الضيقة، بينما جاء الفكر القومي العربي ليسد فراغاً نفسياً واقتصادياً واجتماعياً في مجتمع كان قد خرج للتو من استعمارين الأول استمر أربعمئة عام وهو الاحتلال العثماني ثم الاستعمار الفرنسي والانكليزي الذي جثم ربع قرن على صدر الأمة العربية.

وعن ضرورة تجديد الفكر القومي قال: التجديد الآن ضرورة قصوى لأن هذا الفكر ما لم يجدد نفسه ويكتسب مشروعية جديدة في استمراريته سيترك فراغاً كبيراً في الساحة، والسؤال من سيكون البديل حينها؟ والجواب وبكل أسف يقول طبرة إن الفكر الديني هو الذي سيقوم هذا المقام، ونحن لسنا ضد هذا الفكر بحد ذاته إنما نحن كنخب نقف ضد التسييس لهذا الفكر وجهل هذا الفكر بالدين السامي والنبيل بطبيعته وتحويله إلى فكر فئوي طائفي مذهبي يحوم حول نفسه مما يختزل العالم كله بجماعة ضيقة محدودة، ومن هنا أقول إن الفكر القومي هو فكر علماني عصري متمدن بطبيعته ومفتوح على كل القوى السياسية أي أنه ليس في الفكر القومي العربي أي إقصاء لأي مجموعة كانت لا عرقياً ولادينياً ويقف من الأديان موقفاً متفهماً ومستوعباً وداعماً لاعتماد السياسة معياراً في تقويم كل ما حول هذا الفكر.

تجديد الفكر القومي

يتابع طبرة حديثه بأن تجديد الفكر القومي يقع على عاتق المفكرين القوميين الذين تصدوا أولاً لفهم الفكر ويمكن أن يتم التجديد عبر مقاربة ما بين هذا الفكر وما حوله من أفكار مثلاً من حيث المسألة الاقتصادية ارتبط الفكر القومي في مرحلة ما بالفكر الاشتراكي ثم شهدنا نوعاً من التباعد ما بين الفكرين نظراً لتفكك الاتحاد السوفييتي وفشل التجربة الاشتراكية إلى حد كبير وهناك توجه إلى الليبرالية الحديثة ونظام السوق الاجتماعي لذلك فالمقاربة ضرورية جداً ما بين الفكر القومي ونظام السوق الاجتماعي لأنه بدون حامل اقتصادي سيبقى الفكر القومي نوع من الهيام والطوباوية أما عندما يرتبط بنظام السوق الاجتماعي يعنى بالبنى التحتية لأي فكر وأقصد النظام الاقتصادي المعتمد في العالم لا بد منه نرى أن هذه المقاربة تؤدي إلى الكثير من تطوير وتجديد هذا الفكر، ومن جانب آخر النظرة السابقة والحالة العدائية التي كانت قائمة إلى حد كبير ما بين التيارين والفكرين الديني والقومي هذا اشتغل عليه كثيراً لإحداث شرخ كبير بين الفكرين الديني والقومي وفي الحقيقة نشأت الأحزاب الدينية لضرب الفكر القومي وتحديداً ضرب القومية كحل لتلاقي الناس واجتماعهم على نظام اقتصادي اجتماعي وسياسي واحد.

المطلوب من المفكر اختيار السبيل الأفضل لتلقيح الفكر وتمازجه وإجراء عملية مصالحة تاريخية تظهر بأن العرب في بداية الدعوات والرسالات السماوية لم ينظروا إلى العرق بعيداً عن الفكر الروحاني أي أنهم لم يفصلوا الروح عن الجسد بل كانت العروبة هي الجسد والإسلام هو الروح، لذلك علينا إعطاء هذه العبارة معناها الحقيقي ونحن في سورية أمة التسامح ونحن من علمنا العالم معنى التسامح وفكرنا بشكل طبيعي وسطي ومنطقي وكوننا وسط العالم وقلبه لا بد أن نكون وسطيين في فكرنا وأن نتجه الاتجاه الصحيح لترجمة هذه المقولة العروبة هي الجسد والإسلام هو الروح لأمة واحدة لها تاريخها وآلامها وآمالها ولها وجودها.

الليبرالية الحديثة

لا تعترف ولا تقر بحدود ولا بدول ولا بسيادات هي تريد العالم ساحة تنافس اقتصادي تزين هذا التنافس بالحريات الفردية وتشجيع المبادرة وشعارات أخرى وهذا يؤثر بشكل كبير على سجل الفكر وممارسته.

وتر الكلام

جولة أخيرة...!

سعاد زاهر

عادت أدراجها فقد نسيت سماعات الأذن، صحيح أن طريق العودة مجرد مسافة قصيرة، لكنها انتبهت إلى أن الربيع على وشك التفجر، وكل نباتات الخبيزة ازداد اخضرار أوراقها أكثر من أي مرة نظرت إليها.

التقطت السماعات بسرعة، وبدأت بالجري، حاولت تهدئة ذاتها، فهي اليوم تخرج لتمشي لا لتتسابق مع أفكارها...

مقارنة بسيطة في ذهنها بين لهاثها وهي خارجة للتو من هزات لم تعد تعرف مدى واقعيتها، أو هي مجرد دوار كما يطلقون عليه، في الأيام الأولى لإحساسها، بدأت تكثر الشكوى، وتسأل كل جيرانها، لم تستفد أي شيء من استقصائها، ما إن تتمدد على الأريكة حتى تشعر أنها كلما تحركت تهتز يميناً وشمالاً.

اليوم للمرة الأولى شعرت بتلاشي كل شيء، لأنها رغم أنها تسير على هذه الأرض التي اعتادت السير عليها، منذ أكثر من اثني عشر عاماً، إلا أنها تسير بجسدها فقط، بكليتها أصبحت في مكان آخر، رغم عودتها حديثاً، إلا أنها بقيت هناك، حيث تركت كل شيء مرتباً في غرفتها الصغيرة.

واليوم تدرك كم أخطأت حين طرقت باب العودة وجلست طويلاً أمام عتبة المطار بين التردد ويقين العودة، وما إن عادت حتى سلمت فكرها لغياب طويل الأمد، كل ظلال الأمكنة الحائرة تباغتها وتغلق عليها المنافذ.

حتى سماعات الأذن تصدر ضجيجاً غريباً يختلف عن الموسيقا التي كانت تسمعها فيما مضى، ربما مضى أكثر من يومين لم تعد تشعر بأي اهتزاز، وعلى ما يبدو أن الأفكار لأني لطالما سيطرت عليها، تتقافز كشلال لا يهدأ.

اليوم حين أنهت جولتها الصباحية، تأكدت أنها الجولة الأخيرة لها هنا...!

الجذور التاريخية للقومية العربية

وفاء يونس

يشكل كتاب عبد العزيز الدوري الجذور التاريخية للقومية العربية مرجعاً مهماً لا غنى عنه لأي باحث في الفكر القومي العربي ويعالج هذا الكتاب المسار التاريخي للقومية في البلاد العربية، ويُعرض الفكرة من فترة بدايتها إلى الوقت الحاضر.

ودار موضوع الكتاب في محورين:

أولاً: تأكيد الذات والاعتزاز بها إذ يقول عبد العزيز الدوري إن أوليات الوعي العربي كانت مُبهمة وفوضوية في بدايتها، وعزا ذلك للوضع السياسي والاجتماعي التي عاشته الجزيرة العربية قبل الإسلام، ومع مجيء الإسلام أصبح الدين المرجع الأساس في إيقاظ الوعي، إذْ تطورت نظرة العرب من عبادة الآلهة (فردية) للقبائل إلى آلهة أعم وأشمل، والاشتراك في العبادة في بيئة موحدة. وهذا التوحيد لا يتصل بالمسيحية التي دعمتها السياسة البيزنطية آنذاك، ولا إلى اليهودية التي كانت تتمتع ببعض الحماية الساسانية، بل اتجهت عقيدتهم إلى الأعلى والأسمى إلى «الله»، فقد عمل الإسلام على إيقاظ الوعي العربي، وتوحيد الكلمة والقيادة... وتشكلت حركة عربية في بيئتها وفي لغتها وفي رسالتها، وهي تنشد الوحدة السياسية، وتنكر الانقسام والتجزئة، وترفض التبعية، وهي تتجه إلى تكوين قِيم ومُثل مُوحدة، وتتخذ وجهة مَدنية في الحياة اليومية. تلت هذه المرحلة فتوحات إسلامية جابت الأسفار والأمصار، ونشرت السيادة للعرب والمسلمين، وفُتِحَت أبواب من المعمورة، ولم تتوقد شعلة العلوم والمعرفة إلاّ بعد إرساء دعائم الدولة (خاصة في بداية العصر العباسي) حيث اشتغل العرب في تأكيد ذاتهم بظهور الدراسات والبحوث العربية، وحركة التدوين والتأليف والتصنيف، لغوية وتاريخية وتجريبية، وبرزت الدراسات الإسلامية المتخصصة كدراسة القرآن والحديث جنب الدراسات الفقهية. فنشأت المدارس الفقهية الأولى ومهدت لظهور المذاهب الفقهية الأخرى فيما بعد٢... وقد صارت هذه المدارس قاعدة الثقافة العربية وأساس تكوينها.

يقول الكاتب مستدركاً السّرد التاريخي للقومية العربية «لن يفيدنا أن نمجد هذه الحضارة ولكننا نريد معرفة الجذور، وإذا كانت الحضارة العربية قد ازدهرت، فذلك بسبب التحرر الفكري وسعة الأفق والجرأة العلمية، وبسبب البحث عن الحقيقة واحترام آراء الغير واجتهادهم مهما اختلفوا... ولذا ركد العرب حين مالوا إلى التقليد وحين تضاءل نطاق الحرية الفكرية « (ص. ٢١).

إن الوعي العربي استند إلى أسس ثقافية بالدرجة الأولى، وإنه اتخذ وجهة إنسانية في مراحل تطوره وإن هذا التطور كَون له جذوراً راسخة هي بذاتها الأسس الاجتماعية والثقافية للقومية العربية.

ثانياً: ظهر الوعي القومي في القرن التاسع عشر، وقد مهدت له مُحاولات نشر التعليم وبث الثقافة وخاصة في لبنان وسورية ومصر، وكانت من آثاره بداية الغزو الغربي التي بدأت بحملة نابليون ١٧٩٨م، والإرساليات الأجنبية في القسم الثاني منه، وتغلغل الأفكار والعادات الغربية. وتمثل هذا الوعي في الاهتمام باللغة العربية واعتبارها أحد مقومات العروبة، ونجد أن النشاط الثقافي الذي قامت به الجمعيات الأولى التي تأسست في البلاد العربية ك «الجمعية العلمية السورية التي تأسست في بيروت سنة ١٨٥٧م، والحلقة الثقافية التي تكونت بدمشق في أواخر القرن التاسع عشر حول الشيخ طاهر الجزائري، ثم الحلقة الثقافية الصغيرة بدمشق التي تبلورت في سنة ١٩٠٣م بجمعية سرية وأثمرت في جمعية النهضة العربية سنة ١٩٠٦» (ص. ٥٠) كان لها بعد سياسي كذلك. وكان لاحتكاك الثقافي مع الغرب في الأول الأمر، ثم اصطدام العرب الاستعمار لاحقاً أثر في تجلية الجذور التاريخية للقومية العربية وتماسكها وترصين مفاهيمها. فقد رَحب العربُ بمفاهيم الحرية، وحرِصوا على الأخذ بما يُمكنهم من تحسين أمورهم المعيشية والاقتصادية، إلا أنهم لم يكونوا مستعدين للتخلي عن تراثهم أو إنكار ذاتهم، فاشتد حرصهم على تأكيد الذات؛ يلخص ذلك المويلحي عندما يقول «السبب الصحيح في ذلك هو دخول المدنية الغربية بغتة في البلاد الشرقية، وتقليد الشرقيين للغربيين في جميع أحوالهم ومعايشهم، لا يستنيرون ببحث ولا يأخذون بقياس، ولا يتبصرون بحسن نظر ولا يلتفتون إلى ما هنالك من تنافر الطباع وتباين الأذواق واختلاف الأقاليم والعادات، ولم ينتقوا منها الصحيح من القبيح، بل يأخذوها قضية مسلم بها، وظنوا أن فيها السعادة والهناء، وتوهموا أن يكونوا لهم القوة والغلبة، وتركوا لذلك جميع ما كان لديهم من الأصول القديمة والعادات السليمة والآداب الطاهرة، ونبذوا ما كان عليه أسلافهم من الحق ظهرياً، فانهدم الأساس وهوت الأركان وانقطعت فيهم الأسباب فأصبحوا في الظلام يهيمون».

وفي النهاية، ليست فكرة القومية فكرة طارئة أو مقتبسة بل هي نتيجة تطور الوعي العربي الذي تفجر ودام أكثر من أربعة عشر قرناً، يتمثل في حيوية جديدة تريد بعث الحياة في الأمة، وتريد كياناً خاصاً لها؛ وهذا ما يسعى إليه الوعي القومي الحديث الذي كانت بدايته في مطلع النهضة مع حركة المثقفين.

قراءة في تاريخ الفكر القومي العربي وتطوره

محمد خالد الخضر

يربط في البحث الدكتور حسن جمعة حول البحث في المنظومة المعرفية العربية القديمة والمعاصرة ويذهب إلى تداعيات الثقافة العربية بين الثقافات الإنسانية ومفهوم العروبة والقومية العربية، ولاسيما أنها تقف أمام مواجهات وحروب معرفية مختلفة لتفكيك نظم القومية وتهديد وتخريب الانتماء والهوية.

وفي بنيات الكتاب تفصيل لأسس القومية ومكونات الشخصيات الثقافية المقومة عبر التاريخ وصولاً إلى الوقت الراهن

ويشمل ذلك الحركات الاجتماعية والثقافية والعادات وغيرها وما تدبره الصهيونية العالمية لتنفيذ هذه المشاريع المخربة بكل الأشكال ولاسيما دخول الاستعمار الأوربي والأميركي في الاتجاه عينه، والعمل على مشروع أهم هو التطبيع مع العدو الصهيوني.

وأكد الباحث والناقد في الكتاب أن الفكر الوطني القومي العربي برغم كل التحديات يواكب التحولات الكبرى في الواقع المزري قبل ما يسمى بـ (الربيع العربي)، وبعده التآمري ورفض هيمنة الدوائر الكبرى على العالم وسيادة القطب الأمريكي عليه.. وضرورة العمل على إفشال كل ما هو مدبر لأن أصالة فكرنا القومي حماية لاستمرار وجودنا وانتمائنا.

وبين جمعة أن هناك عدداً كبيراً من الساسة والمثقفين حملوا عبء مشروع النهوض الثقافي وحماية الانتماء وسط الرياح الهوجاء التي تأتي بدافع المؤامرات، إضافة إلى العمل على تحقيق المصالح المشتركة للعرب والوعي العقلاني العلمي الموضوعي وتفوقه على الشعور الساذج المسكون بالوهم والخرافة وقبول إملاءات التآمر، لافتاً إلى ضرورة إحياء مشروع الوعي بالذات والمعرفة والأصالة والمعاصرة والتجديد والابتكار المزين بالصدق والمثابرة، لأنه مشروع إحياء الانتماء إلى القومية العربية.

فلابد من فضح حقيقة الجرائم التي ترتكب بحق الشعب السوري وما وقع في سورية، وحماية المشروع الوطني وقضية فلسطين ولا سيما أن سورية في مقدمة من يتبنى ذلك، إضافة إلى وقوفها في مقدمة تيار المقاومة لمواجهة الاحتلال الصهيوني.

ونجد أن الاتجاه الفكري في الكتاب منهجي وموثق اعتمد من خلاله على وقائع ثقافية واجتماعية وغير ذلك مثل الاستشهاد بالمفكر عبد الله عبد الدايم.. واستخدام أسلوب شائق التركيب والأحداث المستشهد بها.

الكتاب الصادر عن اتحاد الكتاب العرب والذي يقع في (١٦٧) صفحة من القطع الكبير قراءات متعددة ثقافية تأصيلية وتحليلية، تغني ماهية الثقافة والعروبة والقومية، وتبرز أشكال تحديات الثقافة العربية ومشروع الفكر الداعم للحرية والديمقراطية والدولة الوطنية السورية، وإعادة الاعتبار للفكر الوطني العربي وتسليط الضوء على من كتب في ذلك.

ويعتبر الكتاب من أهم الكتب البحثية لأنه متفرد بطرح رؤى جديدة في المواجهة بداية من القديم و العصر العباسي ومن النكبة إلى المقاومة والتجدد والتهويد من القدس إلى غزة وثقافة المقاومة إعادة بناء الذات العربية.. تأكيداً لحضورها ووجودها.

زاوية حادة..

وجوه الراحلين

د.ح

في شهر نيسان منذ عقد ونيف من الزمن ودع السوريون ومعهم قراء اللغة العربية علمين من أعلام الإبداع الحقيقي .. الطبيب والروائي والسياسي عبد السلام العجيلي .. والشاعر محمد الماغوط وكلاهما كان له قصب السبق فيما ابداع عبد السلام العجيلي في الرواية والقصة التي حلق فيهما وكذلك استعادة أدب المقامات إضافة إلى ذلك هو وزير وسياسي ومناضل اشترك في حرب الإنقاذ..

عبد السلام العجيلي ترك إرثاً كبيراً من الإبداع وقد شهدت له منابر دمشق بالبلاغة والثقافة الواسعة..

جمع الكثير مما ألقاه في كتب مثل : أشياء شخصية ..ووجوه الراحلين وحفنة ذكريات .. أما الماغوط فهو الرائد في قصيدة النثر التي تكاد تحتل الآن المشهد كله على الساحة الثقافية والإبداعية.

إننا اليوم إذ نستعيد بعض محطّات عطائهما فهذا ليس كافياً ولا يشكّل إلا نقطة عابرة في احتفاءات يجب أن تكون دائمة بكلّ مبدع عربي سواء كانت ذكرى رحيل أو ولادة أو غير ذلك ..حقّ مبدعينا علينا كبير ونحن مقصرون جداً.

رسالة إنسانية

عبد الحميد غانم

يتسم تقدّم أي أمة أو شعب أو بلد أو حتى إنسان بالقدرة على تطوير فكره وواقعه ومحاكاة المستقبل، فالفكر لا يهزم ولا يسقط، وإنما يتجدد ويتطور ويتقدم، وعندما يصطدم بمعوقات وعقبات، يعمل حاملو هذا الفكر على التغلب على تلك المعوقات، وتغيير الأدوات من أجل التجديد والتطوير، وهنا تكمن عملية التحول النوعي للفكر.

والفكر القومي العربي هو أحد أوجه الفكر الإنساني الذي ساهم ويساهم في عملية التطور الإنساني الثقافي الحضاري، فهو فكر إنساني يؤمن بأن الإنسانية مجموع متضامن يسعى إلى تحقيق أهداف وقيم إنسانية ونظم سياسية عادلة تحقق الرفاهية والسلام والسمو في الخلق والروح، ورفض الظلم والاحتلال والعدوان وتقديم المساعدة للشعوب المحتاجة.

لكن ماذا يميز الفكر القومي العربي؟

أولاً: الاعتراف بوجود قومية عربية لديها الحق بأن تصبح أمة ذات سيادة.

وثانياً: الادعاء (الذي يجب أن يُبَرّر بالممارسة) أن منطلق التنظير وصياغة البرامج السياسية المشتقة عنه هو مجمل مصلحة الأمة وليس مصلحة فئة ما في الأمة.

وعندما يتعامل حامل الفكرة القومية- إذا كان ديمقراطياً ومنفتحاً- مع حاجات الناس والشباب المباشرة فسوف يكتشف مصادر قوته ذاتها.

فمثلاً سوف يكتشف أن الهوية ليست مسألة نظرية بل هي شاغل أساس وملح بالنسبة للناس والشباب مثل بقية حاجاتهم الأساسية، كما سوف يكتشف أن الجواب المتمثل بالهوية العربية المنفتحة غير الاقصائية في مقابل الطائفية والعشائرية، هي أحد مصادر قوة الفكر القومي والتيار العروبي.

فالقومية العربية التي ينطلق منها الفكر القومي العربي ليست رابطة دم ولا عرق، بل هي جماعة متخيلة بأدوات اللغة ووسائل الاتصال الحديثة تسعى لتصبح أمة ذات سيادة.

والتبرير والتنظير لهذا السعي هما الأيديولوجية القومية العربية.

القومية هي غير العروبة القائمة منذ ألفي عام، وهي بالتأكيد غير الإثنية العربية المتخيلة من أصل مشترك.

القومية العربية هي جماعة متخيلة بأدوات اللغة ووسائل الاتصال الحديثة تسعى لتصبح أمة ذات سيادة، كلها جاءت في إطار المثالية والثقافة القومية التي لم تدرك طبيعة الواقع وتحدياته لاسيما جرّاء التطورات السياسية بعد الاستقلال من الاستعمار والاحتلال العثماني والأوروبي الغربي وقيام الدولة ولم تقم وحدة الأمة واستمرار الصراع العربي -الصهيوني.

في الواقع لم يتعّرف المفكرون القوميون العرب، في بادئ الأمر، على الدولة كجهاز متكامل، بل كعناصر مبتورة عن جهاز متكامل للدولة، ومنعزلة عن نظرية متكاملة للدولة، فمصادر القوة لم يروها في الدولة، التي تتطلب إرساء القواعد المادية والتنظيمية والفكرية لبنائها، وإنما بدت لهم ثقافية الطابع.

وحينما تعرضت كتاباتهم لدعائم الدولة السياسية فقد ربطتها بفكرة مثالية عن الوحدة القومية، أكثر مما ربطتها بالقوانين والمؤسسات والجيوش والاقتصاد.

فالحركات السياسية التي تبنت الفكر القومي في أدبياتها وعملت على تنفيذه واقعاً اصطدمت بالكثير من المعوقات، حتى التي وصل منها إلى السلطة، ونجحت في إقامة اتحادات ثنائية وثلاثية ورباعية كخطوة على طريق الوحدة العربية الكبرى، واجهت صعوبات ومعوقات، طرحت تحديات جديدة، ووجدت بوناً شاسعاً بين النظرية والتطبيق على الرغم من الكثير من المقومات التي اعتمد عليها الفكر القومي العربي، وتجمع أبناء الأمة العربية، وهي الأرض والتاريخ واللغة والمصالح، إلا أن هناك مقومات تحتاج من الفكر القومي تجديد نفسه وتطوير أدواته والاستفادة من التجارب الأخرى.

لقد اهتم الفكر القومي العربي بطابع الحكم السياسي وبمظاهر السلطة أكثر مما اهتموا ببناء مرتكزات الدولة الاقتصادية والاجتماعية والقانونية.

ويبدو أنّ مكمن الإشكال راجع إلى أنّ الدعوة القومية العربية، على الرغم من الزخم الذي واكبها في الخمسينات والستينات من القرن الماضي خاصة، لم تبدع آليات تحقّقها وإنجازها في معترك التاريخ.

لذلك يضطر الفكر القومي إلى تجديد نفسه باعتماد أدوات حديثة و عملية قادرة على مواكبة تطورات الوقع وضرورات المستقبل.

فالفكر القومي العربي حمل رسالة إنسانية ليست رسالة محددة خارج المكان والزمان، وإنما رسالة منفتحة لا ترتبط في الماضي فقط بل بالحاضر والمستقبل، تهدف إلى تلبية حاجات الحاضر وضروراته، وتعمل على تجاوز مخلفات الماضي وسلبياته والاستفادة من إيجابياته وتطويرها، وأن يستفيد هذا الفكر من مخزونات الأمة الحضارية الإنسانية لتحقيق الإنجازات القادرة على الارتقاء بفكر الأمة ودورها الحضاري وإزالة العراقيل التي تعطل تنميتها وتطورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

فالوحدة التي اعتبرها الفكر القومي كأساس في قيام الأمة العربية الواحدة ليس تحقيقها بلصق أجزاء من الوطن العربي إلى جانب بعضها البعض، بل هي عملية حضارية نهضوية عظيمة تبعث الطاقة الكامنة في أعماق الأمة، لتعيد انطلاقتها وانبعاثها وتشكيلها بشكل حضاري يرتقي بالدور الإنساني للأمة وبفكرها إلى العالم، عبر إبداعات وإنجازات جديدة ورائدة، تنهض بالحاضر وتحاكي المستقبل برؤية حضارية منفتحة.

إن هذه الأمة التي استطاعت عبر إشراقات عديدة، وفي فترات مختلفة من التاريخ أن تقدّم للإنسانية أعظم الإنجازات منذ آلاف السنين، وكانت مهد الديانات السماوية التي انتشرت في جميع أرجاء العالم، وأرض الحضارات والرسالات، وصاغت الأبجدية الأولى التي انتشرت في القارات الخمس، وابتكرت الأرقام العربية التي لا تزال سائدة إلى اليوم، ووضعت أسس قياس الزمن وتقسيمه على أعوام وشهور وساعات ودقائق، وأسست علوم الفلك والرياضيات والكيمياء والطب، كما حظيت بأفضل الإرهاصات في العالم في مجالات الفكر والأدب والملاحم، وصهرت جميع الحضارات الإنسانية القديمة والعالمية في بوتقة الثقافة العربية، لا تزال هذه الأمة بفضل كل ما تقدم في جوهرها مستمرة في حاضرنا، حتى وإن فقدت اليوم في ظل التطورات الأخيرة في منطقتنا والعالم شيئاً من روح المبادرة وبعض التجانس وروح الإبداع والابتكار، إلا أنها لا تزال قادرة على استعادة دورها الحضاري الإنساني، عندما تعقد العزم على تجاوز الصعاب مهما عظمت، وعلى امتلاك ناصية العلم والمعرفة والتقدّم وخلق مصيرها بنفسها.

ولعل البعث الذي حمل لواء الفكر القومي التقدمي الحضاري كان و لا يزال الحركة السياسية المناضلة الأساس في دفع حركية الفكر القومي وتعامله المنفتح مع الواقع والانطلاق نحو المستقبل المزدهر.

ريادة الحصري

ظهر اسم ساطع الحصري في خضم التفاعلات السياسية والأيديولوجية التي كانت تعج بها الساحة العربية خلال النصف الأول من القرن الماضي، ليتخذ لنفسه مساراً فكرياً خاصاً يقوم على بعث المشاعر القومية والتنظير الأيديولوجي لفكرتها، فكانت معظم مؤلفاته مشدودة إلى الهم الوحدوي حتى عرف بفيلسوف القومية العربية.

وقد تحدث بنفسه عن كتاباته، حول القومية، بالقول إنها تنقسم إلى نوعين: نوع يعرض ويشرح «مسائل القومية ونظرياتها عرضاً مباشراً»، ونوع يبحث «المسائل المذكورة، عن طريق انتقاد الآراء الخاطئة التي تنشر في هذا المضمار».. وأدرج في النوع الأول كتابيه «محاضرات في نشوء الفكرة القومية» و«ماهي القومية؟» في حين جعل من النوع الثاني كتابيه «العروبة بين دعاتها ومعارضيها» و«آراء وأحاديث في القومية العربية».

اسمه الكامل ساطع بن محمد هلال الحصري، ولد بصنعاء، عام ١٨٧٩، وتوفي ببغداد، عام ١٩٦٨، وبين التاريخين، كرّس حياته في الكتابة والتأليف التي بدأها بتركيا، حيث درس بمعاهدها وتسلق في مراتب إداراتها وشغل عدداً من المهام الرسمية، وفي سنة ١٩١٩ انتقل إلى الاستقرار بسورية وبنى علاقات قوية مع نخبتها الثقافية والسياسية، حيث تولى مسؤولية وزارة التعليم، كما انتقل إلى العراق وشغل مهام تربوية وتعليمية من أهمها منصب مساعد لوزير المعارف.

كانت السياسة التربوية التي انشغل بها الحصري في حياته مطية لنشر معتقداته الفكرية، وفي هذا السياق ترى الباحثة الروسية «تاتيانا تيخونوفا» في كتابها «ساطع الحصري رائد المنحى العلماني في الفكر القومي العربي» أنّ مغزى سياسته التربوية، التي تأثر فيها بكبار المفكرين الغربيين من أمثال لوتورنو، سبنسر، كونت، رينان وغيرهم قد ارتكزت على «مجابهة الأهداف التقليدية للتعليم العثماني (تربية مشاعر الولاء للسلطة وترسيخ كليشيه ثقافي معين)»، وذلك من خلال تطوير خصال التلميذ الشخصية، وتنمية قدرته على التفكير الذاتي المستقل، وتقوية روح المبادرة عنده.. و«على هذا الطريق تبرز -في رأيه- أهمية دراسة العلوم الطبيعية والدقيقة، وفسح المجال لمبادرة التلاميذ، والتربية من خلال العمل والرياضة البدنية»، فالحصري يصدر في اختياراته البيداغوجية عن قناعات مخالفة لما كان يكرسه حينها نمط التعليم السائد والمرتكز خصوصاً على الثقافة الدينية.

الأطروحة القومية في فكر الحصري تتأسس على البعد اللغوي

فالأطروحة القومية في فكر الحصري تتأسس على البعد اللغوي أساساً واستبعاد العامل الديني، بعكس الخيار الذي تبلور لدى رواد السلفية من دعاة «الجامعة الإسلامية»، مما تسبّب له في موجة من النقد والنكير من التيار الإسلامي وعلماء الشريعة. لذلك، اعتبرته الكاتبة الروسية «تاتيانا تيخونوفا» في كتابها السابق الذكر بأنه «صاحب أول نظرية علمانية متكاملة في القومية العربية»، وأنه «المنور والعالم العربي الفذ» الذي أرسى «التيار العلماني في الفكر القومي العربي».

فالحصري يؤكد على أولوية البعد الوطني والقومي على حساب البعد الديني في نسج الروابط بين أبناء البلد الواحد، وهو ما توقف عنده أثناء حديثه عن مصر وضرورة تقدم الرابطة الوطنية والقومية فيها «على الرابطة الدينية في الشؤون السياسية». وبالتالي، لم يعد أي داع لاعتبار الاختلافات العرقية أيضاً، فالمصريون يستمدون عروبتهم من اللغة التي بها يتحدثون ويتفاهمون، وبالتالي «لا مبرر للتساؤل فيما إذا كانوا «عرباً جنساً ودماً»، لأن من الحقائق الثابتة علمياً أنه لا يوجد على الأرض «أمة» ينحدر جميع أفرادها من أصل واحد، ويتحدون بالدم».

العروبة والواقع العربي

ارتبط اسمه بالعروبة والقومية، حيث يعدّ من أوائل وكبار المثقفين العرب إبداعاً وتنظيراً في مشروعها، وراهن على «إيقاظ الشعور بالقومية العربية، وبث الإيمان بوحدة هذه الأمة» لتحقيق الهدف الوحدوي فعندما «يستيقظ هذا الشعور تمام اليقظة، وعندما ينتشر هذا الإيمان ويرسخ في النفوس تمام الرسوخ» حينها سوف «تتوضح السبل، وتتمهد الطرق، أمام الوحدة العربية... وتزول العقبات وتنهار العوائق التي تعترضها... بكل سهولة».

وعمل الحصري، في سياق التأسيس النظري لمشروعه، على تصحيح عدد من المفاهيم المفتاحية، من ذلك تعريفه للبلاد العربية، أو بلاد العرب بأنها «ليست الجزيرة العربية وحدها، كما يزعم البعض، ولكنها جميع البلاد التي يتكلم أهلوها باللغة العربية»، فهي تشمل تلك المساحة الممتدة «من جبال زاغروس في الشرق، إلى المحيط الاطلسي في الغرب، ومن شواطئ البحر الأبيض وهضاب الأناضول في الشمال، إلى المحيط الهندي ومنابع النيل والصحراء الكبرى في الجنوب»، كما عرّف الإنسان العربي بأنه «كل من ينتسب إلى البلاد العربية ويتكلم باللغة العربية» بغض النظر عن اسم الدولة التي يحمل جنسيتها و«مهما كانت الديانة التي يدين بها، والمذهب الذي ينتمي إليه، ومهما كان أصله ونسبه، وتاريخ حياة أسرته».

المشروع الوحدوي العربي اقترن في تصور الحصري بمواجهة مشروع الهيمنة الإمبريالية الغربية

إن المشروع الوحدوي العربي اقترن في تصور الحصري بمواجهة مشروع الهيمنة الإمبريالية الغربية، ومن تم معارضته للنماذج «الدولتية» القائمة في العالم العربي غداة مرحلة الاستقلال، فهو يعتبر الدول القطرية وليدة المؤامرات الغربية وتجسيداً لمقتضيات اتفاقية سايكس بيكو؛ فالحدود الفاصلة بين الدول العربية «لم تتقرر وفق مصالح البلاد وسكانها، وإنما تقررت بعد المساومات والمناورات الطويلة التي جرت بين الدول المستعمرة، ضماناً لمصالحها»، كما اعتبر اختلاف النظم الإدارية والتشريعية والاقتصادية والسياسية بين الدول القائمة في الرقعة العربية من «مواريث عهود الاحتلال»، وبالتالي تحولت إلى أدوات التحكم الإمبريالي.

وتماشياً مع هذا الطرح دعا إلى استبعاد عبارة «الشرق الأوسط» من تداول المثقفين العرب مقابل عبارة «العالم العربي»، لأن فكرة الشرق الأوسط من إنتاج سياسة الدول الإمبريالية، ولأنها «تترك قسماً مهماً من البلاد العربية خارج نطاقها» وتربط في المقابل «قسماً آخر من البلاد العربية ببلاد غير عربية بتاتاً».. ولذلك يجب علينا أن نستبعد فكرة «الشرق الأوسط» من تفكيرنا اليومي، ونمسك بفكرة «العالم العربي»، لأنها أقدر على ترجمة واقعنا وطموحاتنا.

رفض المنطق الرياضي

عبر الحصري عن رفضه لموقف سعد زغلول من الوحدة العربية، الذي نقله عنه عبد الرحمن عزام، وسخريته من فكرتها لكونها لن تكون إلا تجميعاً للأصفار، بتساؤله «إذا جمعت صفراً إلى صفر، فصفر، ماذا تكون النتيجة؟»؛ فالحصري ينقض هذه المقولة التي استمرت «تتردد على الألسن والأقلام»، ويمج المنطق الرياضي في تناول القضايا المصيرية للأمة العربية.

وهو على الرغم من تقديره لشخص سعد زغلول والاعتراف له «بالسلطة المعنوية»، فهو يؤكد على أن العظماء من أضرابه «إذا أظهروا عبقرية خارقة في بعض الأمور، قد يتساوون مع سواد الناس في كثير من الأمور، حتى أنهم قد ينزلقون إلى أخطاء فادحة أيضاً في بعض الأحيان». فسعد زغلول، يقول الحصري، «كان على خطأ عظيم عندما اعتبر الشعوب العربية كلها أصفاراً في أصفار»، إذ كان يمكنه أن يقول: «لنا من مشاكلنا الخاصة ما يستنفد كل قوانا، فلا يسوغ لنا أن نفكر الآن في قضايا سائر الشعوب العربية»، وهو في تأكيده على رفض كلمة زغلول يردف أن خطأها ازداد شدة عن لحظة الإفصاح عنها، وصارت أكثر بعداً عن الحقيقة في زمننا، لأن أحوال البلاد العربية تغيرت كثيراً.

حاول الحصري جاهداً تعزيز طرحه باستحضار التجربة الوحدوية الناجحة للولايات الألمانية والإيطالية

كما أضاف في توضيح رده على موقف زغلول أن «الاجتماع لا يشبه الجمع، وإن كان يشاركه في الاشتقاق اللغوي»، لأن الاجتماع، بالمعنى العلمي للكلمة، لا يعني فقط الانضمام المجرد، بل يتضمن «تفاعلاً» بين الأفراد، وهو ما يولد قوى جديدة وصفات جديدة.. وبالتالي، فإن تشبيه الأمور الاجتماعية بعمليات الجمع والضرب الحسابية يصبح نوعاً من الهرطقة العلمية. فالحياة الاجتماعية -يؤكد الحصري- لا تعني «جمع فرد إلى فرد»، بل تعني حصول «تفاعل بين مجموعة من الأفراد، تفاعل حيوي خلاق، يؤدي إلى تكوين «كائن اجتماعي» وإلى توليد قوى جديدة تختلف عما كان للأفراد من قوى على الانفراد».

وحاول الحصري جاهداً تعزيز طرحه باستحضار التجربة الوحدوية الناجحة للولايات الألمانية والإيطالية، لينتهي بتخطيء من يتعامل مع قضايا الوحدة العربية بأعمال حسابية؛ فالاتحاد، بحسبه، يولد القوة لكن ليس فقط عن طريق جمع القوى، بل أيضاً بواسطة «إيجاد حياة جديدة وأوضاع جديدة تولد قوى جديدة، تفوق مجموع القوى المتفرقة بآلاف الدرجات».

اللغة عبقرية الأمة

سلام الفاضل

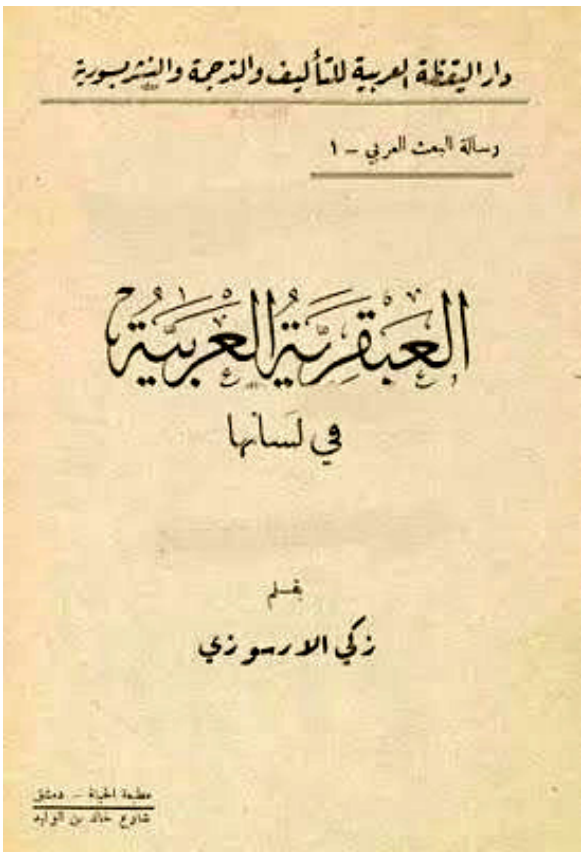

يتناول المفكر ميثم الجنابي الجانب اللغوي المؤسس للقومية العربية الذي كان رائده المفكر الراحل زكي الأرسوزي ولاسيما في نظريته المهمة (العبقرية العربية في لسانها) ويرى ميثم الجنابي في الحوار المتمدن حيث ناقش الفكرة وطرحها (للفكرة القومية، شأن كل الأفكار الكبرى، لحظتها التأسيسية الأولى. وقد شاءت الصدف أن ترتبط بشخصية الأرسوزي (١٩٠٠-١٩٦٨). الأمر الذي جعل منه فيلسوف الفكرة القومية العربية الأول في العصر الحديث. وليس مصادفة أن تكون فلسفته بهذا الصدد فلسفة شخصية أيضاً. فهو الفيلسوف الذائب في الفكرة القومية بوصفه رحيقها الأول. إذ تكاملت في ذاته وإنتاجه الفكري الفلسفي بوصفها رؤية منظومة ونسق يتغلغل في كل أنساق وجوده الشخصي والاجتماعي والوطني والقومي والروحي والسياسي. وقد جرى تأسيس هذه الرؤية وتطويرها وتدقيقها في عدد من المؤلفات الأساسية مثل (العبقرية العربية في لسانها)(١٩٤٣) و(الأخلاق والفلسفة) (١٩٤٨)، و(والمدنية والثقافة)(١٩٥٤) و(الأمة العربية) (١٩٥٥) و(مشاكلنا القومية)(١٩٥٥-١٩٥٨) و(صوت العرب في لواء الاسكندرون)(١٩٦١) و(بعث الأمة العربية - اللسان العربي)(١٩٦٣) و(الجمهورية المثلى) (١٩٦٤). وغيرها من الكتب، وبالأخص ما يتعلق منها بالفلسفة مثل (رسالة عن النفس)(١٩٥٣) و(رسالة عن الفلسفة)(١٩٥٤) و(متى يكون الحكم ديمقراطياً)(١٩٦١) وغيرها مما جرى جمعه ونشره في (المؤلفات الكاملة) (أربعة أجزاء) في دمشق عام ١٩٧٢.

فالطابع الشخصي لفلسفة الأرسوزي يبرز أيضاً على مثال حياته وموته، أي إن تاريخها النظري يتمثل أيضاً تاريخه الشخصي. فقد ولد الأرسوزي في بداية القرن العشرين وتوفي بعد الانتكاسة الكبرى الأولى في تاريخه القومي الحديث. بمعنى إننا نعثر في حياته ومماته على تمثل نموذجي لحياة الفكرة العربية من حيث ولادتها وموتها الأول، أي ظهورها وفسادها. وقد كانت تلك الفاجعة الأولى التي سوف تعطي للفقدان قوة الوجدان. بمعنى إن ضياع الأرض الفلسطينية المؤقت قد أدى إلى اكتشافها الروحي الأوسع. ومن ثم نقلها إلى حيز المصدر الدائم في شحن وشحذ الوجدان العربي. مع ما ترتب عليه من اكتشاف أولي المكر العقل التاريخي العربي وتقوية إقدامه للنهوض الجديد بعد الغيبوبة الطويلة في دهاليز الزمن الضائع.

ولكن قبل أن تعاني الفكرة القومية العربية من هذا المخاض الأول، فإنها قد عانت ولادتها التاريخية الكبرى في شخصية الأرسوزي ومعاناة إبداعه الفكري. فقد تمثل الأرسوزي التاريخ الواقعي والفعلي بمعايير الوجع الميتافيزيقي للروح الولهان بوهج المعاصرة. وفي هذا يكمن سره الهائج بالبحث في اللغة وعوالمها المافوق تاريخية من أجل بلورة فكرة عن التاريخ. وفي هذا أيضا كانت تكمن المعاناة الروحية العميقة لهذه الفكرة وذبولها الجسدي في دهاليز البحث عن بعث قومي وجد لغوه في اللغة وثرائه في ثرثرته!

فمن الناحية الظاهرية يمكن النظر إلى الولع اللغوي والتأويل المفتعل كما لو أنه الجامع الذي يجمع فلسفة الأرسوزي. فقد جَسد الأرسوزي في آرائه وتحليله ومواقفه ومفارقاته حب اللغة في مختلف مستوياته وأنواعه من إعجاب وغرام وحب وهيام وعشق حد الفسق. لهذا نرى فيها وفيما أجهد نفسه واجتهد للبرهنة عليه مجرد أمور بسيطة ومطروقة يمكن وضعها في عبارات «صوتية» قليلة، هي الأكثر رقة وجمالية مثل قوله «مثل الإنسان كمثل الطائر ينبت ريشه بالهمة»، و«الحياة تنشئ بنيانها وبدنها بحسب غايتها في الوجود» وأمثالها الكثيرة. بحيث نقف أحياناً أمام صورة مغرية للخيال عن شخصيته الحكواتية الكبيرة وجمهورها الغفير في أحد الجوامع الإسلامية الكبرى، فيما لو أنه ولد قبل ألف عام. لكنه ولد بعد ألف عام! وبالتالي، فإن ما وراء اللغو والثرثرة الظاهرية كانت تكمن وتتفاعل عوالم اللغة الثرية الهائلة والصاخبة بوصفها عوالم التراث والماضي والأنا المنسية. بعبارة أخرى، لقد أراد الأرسوزي أن يضع هذا الثالوث المغمور على نار الوجد المعاصر لكي تلتهب مكوناته «الخالدة» في وجدان الفكرة القومية الحديثة. وهذا بدوره لم يكن معزولاً عن مخاض التحرر ومعاناة تأسيس الدولة القومية في عالم الفكر وميدان الحياة السياسية.

فقد عايش الأرسوزي صعود الفكرة القومية ورؤية ملامحها المتراكمة، كما عايش بالقدر ذاته انحدار المشروع القومي صوب القطرية المحاصرة، وتعرضه اللاحق للتجزئة الثقافية والتهرؤ السياسي. وفيما بين هذه البداية والنهاية تلألأت رؤيته الفلسفية للفكرة القومية العربية، بوصفها معاناة أولية حقيقية كبرى. بحيث تطابق مضمون هذه المعاناة مع كيفية ونوعية الصيغة الأولية لما يمكن دعوته بفلسفة الأنا الثقافية. الأمر الذي جعل من الأرسوزي فيلسوف الأنا القومية الثقافية. ومن ثم احتواء تأسيسه النظري على بوادر الرؤية الأولية لفكرة القومية التلقائية (الروحية). وبالتالي، لم يكن مضمون الرجوع إلى ميتافيزيقيا اللغة المتسامية والخالدة عنده سوى محاولة انتشال الفكرة من السقوط والانحدار صوب تجزئتها إلى حروف منفصلة لا تستقيم مع حقيقة العربية، والركض وراء جمعها في كلمات بلا عبارة! ذلك يعني، إن الاتجاه صوب ملكوت اللغة كان بالنسبة له أسلوب الرجوع إلى الملك العربي المفقود، أي الواقع البائس! لكن مأثرة الأرسوزي تقوم في محاولته تحويل البؤس المادي إلى بأس روحي. من هنا أصبح السباحة في عالم الملكوت أسلوب تأمل المعنى والوجوب. مع ما ترتب عليه من توحيد العربية النموذجية في حروفها لكلمات النطق والمنطق الروحي للماضي والحاضر والمستقبل.

من هنا محاولته تأسيس فهمه الجديد لقضية أصل اللغة. إذ نراه يبدأ من تناول القضية - الإشكالية القديمة عما إذا كانت اللغة اصطلاحية (موضوعة من قبل العقل) أو نتاجاً للوحي، لكي يؤسس على كيفية حلها فكرته عن القومية العربية. فقد انطلق من المقدمة القائلة، بأن ربط اللغة (العربية) بالغيب تضييق على العقل. كما أن اعتبار اللغة مجموعة من الرموز موضوعة من قبل العقل هو دوران في حلقة مفرغة. وذلك لأن هذا القول يفترض وجود عقل كامل. وكيف يمكن ذلك دون كلام (اللغة)؟ ووجد الأرسوزي الحل فيما اسماه «بالصدفة السعيدة» في اكتشاف جذر اللغة (العربية). وعثر عليه فيما سماه منهج اللسان العربي بوصفه جذر «اللغة الكونية». ما حدد بدوره طابعها المتميز وأصالتها التي ينبغي أن تستعيد هيئتها الأولى بوصفها فكرة قومية أصيلة.)

شاعر وقصيدة

سليمان العيسى في (عيد الوحدة)

علي حبيب

أنا في هدرة الحناجر، أنسابُ
هتافاً ملءَ الدجى، ودويا
أنا في زحمة الجماهير، لا أملكُ
إلا الدموع في مقلتيّا
الأهازيج تُرعش الأفق حولي
وتصبّ الحياة في مسمعيا
أنا في زحمة الطريق، وغابٌ
من زنودٍ سُمْرٍ يرِفّ عليا
الأغاريد .. أي كأسٍ أديرت
في حنايا الدجى، وأي حميّا !
فرحةُ الضائعين عادوا مع الفجر
يصوغونه ضحىً أبديا
فرحةُ الشعب، شعبنا وهو يطوي
ظلمات العصر والذل طيّا
وعنانُ التاريخ في قبضتيْه
يا عناني انطلقْ، ودعْ قبضتيّا
أنا في سكرةٍ مع الشارع النشوان،
ازجي، مرنّحاً، قدميا
أنا في سكرة دفنت بها الليل،
وصنت الصباح في جانحيا
أطفؤوا النور ألف عام بعينيّ،
ولموا الأفراح عن شفتيا

لا تلمني، فلن أعدّ حياتي
في دورب الضياعِ والذلِ شيّا
منذ يومين قد وُجدت، فعمري
يوم أعلنتُ مولدي العربيا
أنا في زحمة الحناجر أنسابُ
جنوناً حيناً، وحيناً ذهولا
لحظاتٌ .. والليل يرقص،
والأضواء تعلو مدينتي إكليلا
وعلى الأفق نجمةٌ هزّها العيدُ
فروّت جاراتها تقبيلا
لحظاتٌ .. غنّيتُ في حلمها شعري
وصارعتُ ليلَها مغلولا
يا ليالي الضياع ، والقيد ، زولي
نحن باقون وحدةً لن تزولا
وحدة .. تلهم الكواكبَ مسراها
وتمشي في القفر ظلاً ظليلا
وحدة .. في السماء والأرض منها
لهبٌ يغسل الأذى والدخيلا
وحدة .. تَفْجُرُ الينابيع في الكون
فراتاً يسقي العطاش ونيلا
وحدة .. تجمع المشرّد بالأهلِ،
عناقاً بعد الفراق طويلا
وتلمّ المعذبين بأرضي
موجةً لن تضلّ بعدُ السبيلا
يا ليالي الضّياع والذل غوري
تحت أقدامنا رعيلاً رعيلا
عربيّ الشعاع هذا الضحى
المتلعُ جيداً إلى الخلود أصيلا
سلبتنا الدنيا قناديلنا الزهرَ،
فعدنا .. نُحيلها قنديلا
أين أهلي ؟ أضمُهم وأدقّ
الكأس نخبَ انطلاقهِ العملاق
منذ يومين قد وُلدتُ، فصبّيني
نشيداً يا روعةَ الإشراقِ
أين أهلي على الذرى الشمّ في
لبنان ؟.. تحلو في العيد كأس التلاقي
أينَ أهلي.. في القدس، فوق الضفاف
الخضر، ضجّت في صدرهم أشواقي
أين بغداد معقلُ الصيّد من قومي
تدكّ الأسوارَ بين العناقِ
لكأني أجرّ خلفي حطاماً
من عقال في زندها ووثاقِ
العراقُ الحبيبُ .. طال دجاه
أنا أدرى بصاعقات العراقِ
أين أهلي فالعيد في كل صدرٍ
زغرداتٌ تضيء في الآفاق
خذ جناحي في الشرق واترك جناحاً
لي على الأطلسي .. لفّ رفاقي
يا صقورَ الجزائر السمر، عيدي
وقصيدي لكم، ووهج احتراقي
يا دويّ الرصاص زغرد على «الأ
هراس»..باقِ عرسُ العروبة باقِ
لن نردّ السيوف في الغمد حتى
نلتقي تحت بندنا الخفاقِ
وأزيحُ العصورَ عني ضباباً
في ضباب، وغمةً كالجبالِ
ويلوحُ التاريخ تاريخ قومي
شعلاً من حضارةٍ وجلالِ
همدت، ريثما نعدّ لها الخلد،
ونُلقي قيادها لجمالِ
فاشهديه يا أرضُ ميلادَ شعبي
وتملّيْ مواكب الأبطالِ
ينسجون الحياة عزاً، ويمضون،
فمن ريشهم شموخُ الأعالي
قد طلعنا يا أرض.. وحدتنا
الكبرى مصيرٌ في قبضة الأشبال
قدَرٌ عودةُ الربيع إلى الدنيا،
فدقّي السدود للشلالِ
قد طلعنا، فأي سدّ كسيح
سيعوق انتفاضةَ الأجيال!
اسمرَ النيل .. في حنايا بلادي
ظمأ، والمعينُ دفقُ زُلالِ
إسقنا النصرَ ساحةً بعد أخرى
من نضال مظفّرٍ لنضالِ
لك منا العيون تنزل فيها
بسمات يُشرقن بالآمالِ
لك منا الزنود يا حاطم الأغلال،
فاضرب بقيةَ الأغلالِ
الملايين في ثرى الضاد حُلْمٌ
يتحدى بالأسمر الرئبالِ
هات لي أخوتي .. فروعةَ عيدي
فوق شعري غداً وفوق خيالي
يوم أمشي .. في الأطلسيّ يميني
دون حدّ، وفي الخليج شمالي

لمَّا أَتذكَّرُ

فوزي الشنيور

منْ كانَ هنَا منذُ رفّةِ عصْفورٍ
أو كيفَ أتَى إلى الموتِ
دونما أنْ يعْتَرِضَ في المحْكمةِ
أتَخلّى عنْ كَنعانَ
أَخْرُجُ أَرْجُلِيْ منْ حِذَاءِ الأثْمِ
لا أقتربُ مِنَ الشجرةِ مرّةً أخْرَى
أُدْرِكُ أنّ لقاءَ الأمْواتِ لا بدّ منْهُ
لِذلكَ أَتَنَكّرُ لأشْيَائِيَ الْحَالكةِ
وأَغْسِلُ روحِيَ بالماءِ والصّابونِ
إنّيَ انْكَمِشُ
مُجَرّدَ أنْ يُذْكَرَ الموتُ أو يقومَ بِمُداهمةٍ بعيدةٍ
لقدْ جعَلَنِيْ انْشقُّ عنِ الحياةِ هذهِ المُتْعةِ الآنيّةِ
لقدْ غدوتُ بِلِسانٍ واحدٍ
ولمْ أُبَدِّلْ وجْهِيَ بعدَهَا
إنّي الآنَ
أمشِيْ
أقْصُدُ سفينةَ نوحٍ

أعرفُ أنّهُ
سَيُغَادرُنِيْ كثيرٌ مِنَ الأصْدقاءِ
لن أفوزَ بِوجاهةٍ مشْبوهةٍ
أوْ يُصَفّقَ لِيَ الْمُنافقونَ
أوْ يَلْتكِشَ بِيَ هؤلاءِ الذينَ كانوا يهابونَ شُروقِيْ
من بينَ الظّلامِ
سَأُغْلِقُ الحَانوتَ
لأنّيْ لنْ أشْتريَ مِنَ الدّنيَا المُعَلّباتِ الْفَاسدةَ
أو أُتاجِرَ بالفواكهِ والْخَضْرواتِ الْموبوءةِ
أو أتَلاعبُ بالنّاسِ
يا إلهِيْ
لقدْ رَقصَ الليلُ طويلاً في أنْحَائِيْ
عَفّنْتُ منْ خِصَامِيْ للْمَطرِ
وتقَاسَمَتْنِيْ الْوحوشُ الأليفةُ
مِنَ الآنَ لنْ أَعْبُرَ الدُّروبَ القبيْحةَ
لا أذْهبُ إلا للْحقُولِ التي اكْتَظّتْ بالْمُشْمشِ والليْمونِ
سَآويْ إلَى الْعصَافيرِ الْبَسيْطةِ

سَأَفْتحُ للضّوءِ شبَابيكَ جَديدةً
سَأَتَصَدّقُ بالكلِمَاتِ الطّيّبةِ التي لا يَمْلكُها كلُ النّاسِ
إنّيْ سَأكونُ مُجَرّدَ غيْمةٍ مَاطِرةٍ
ولكنْ رُبّما سَأُنْقِذُ الأرضَ مِنَ اليَباسِ
ومنَ الآنَ
لن أمُدّ يديّ إلا إليْكَ
لنْ أَتْرُكَ الذُّنوبَ مُعرّشَةً علَى جدْرَانِيْ
لأنّيْ أُحبُّكَ
لنْ يَتَكَسّرْ زجَاجِيْ بالأحْجارِ الصّمّاءِ
أوْ بِغِيَابِ يوسِفَ
أَعْرِفُ أنّكَ سَتَلْتَفِتُ إليّ في الوقتِ المُناسبِ
فَتُخْرِجنِيْ مِنَ الْجُبِّ
لِأفْرَحَ بالزّهْرِ الْمأمولْ

مرساي وشطّي

رجاء شعبان

من أنت لأحبّك كلّ هذا الحبّ.. وأشتاق إليك كلّ هذا الشوق
وأبكي عليك كلّ هذا البكاء؟
وأرضى ببكائي لك ثم بسمتي
لأجل أن ترضى عيناك في الصورة التي أراها..!
فأنا مشاغبة جدّاً لا أعلم كيف أحبّك من دون بكاء...
وأنظر إليك من دون شغب وابتسام وحياء !
يا وجه الأحبّة كلّهم
يا وجه طفولتي وعمري..
وحركاتي ولباسي وشريط حياتي المبعثر كقطعة موسيقيّة..

لا تكلّ من العزف على مرأى عيْنَيك... مرآك مرساي
وشطّي وبحري وسفينتي إلى قدري...
قدري الوجيع بك ومن غيرك....
يا فرحة اللقاء من بعد شقاء
ولفّ ودوران في كرةٍ أرضيّة أدراتني ودوّختني...
كيف أصمت..
وإلى متى أسكت..
وأنا أنحل عنك..
وأختفي في فيافي الناس...
فلا أنا منهم ولا إليهم...
ولا أنا معك ولا بعيدة عنك...!

لن أقول تعبتُ فَمعك لا أتعب...
معك أتجدّد..
وكل يومٍ أُخلَق من جديد
لأفرح وأتعذّب وألفّ وأدور.... وأتماهى وأختفي
لأظهر في عينَيك
أنظر إلى حالي بك وأهدأ
ياصاحب الهداية لي والسكينة... والجرح والتعذيب
لقلبي أن يهدأ!
هو النابض بك دائماً وأبدا...